

## الاتجاه الواقعي في الرواية العراقية

تأليف الدكتور عمر الطالب

وتستمد قوتها الحقيقية من خلال الحياة والظرف الواقعي الذي تعيشه، إضافة الى ان كل عضو يسمح بتطوير وتجسيد الاحداث ويتفاعل مع الآخرين للوصول الى الهدف . والحبكة عندهم تجيء من فهم واضح للاحداث المنطقية والتلفائية التي تحول الشخصية من موقف الى آخر مفاير له بفعل حدث يمهّد الى تطور يعقبه آخر .. ونهاية الرواية عند كتاب هذا الاتجاه هي لحظة التنوير فيها وتكون فائمه اما على التوازن واما على الموت .

\*\*\*

في القسم الموسوم - الواقعية الجديدة والرواية العراقية - يدرس المؤلف طبيعة الظروف التاريخية التي مر بها العراق وما حدث من أزمات اقتصادية وسياسية واجتماعية أثرت عليه كثيرا في ولادة هذا الاتجاه الجديد . فالطبقة البرجوازية العليا كانت قد تنكرت لقضايا الثورة والكادحين بعد تحقيق طموحاتها ومطالبها وخانت القضية بتعاونها مع الاستعمار مما أوجد الواقعية كتابع لحركة سياسية أنتجت طبيعة المرحلة . وكان يمثل هذا العديد من صفار البرجوازيين والفئات الأخرى . والواقعية الجديدة « لا تشكل تيارا فنيا معنا وإنما تؤكد اتجاهها جديدا في رؤية الواقع يستند أساسه الفلسفي على الماركسية كنظرية في الطبقة والمجتمع » . وتستشير بالرواية الماركسية للمجتمع وعكسه بطريقة فنية وعفوية في العمل الفني .

ومن أسباب نجاح هذا الادب السواقعي الاشتراكي الظروف الموضوعية . فقد تم التعاون بين الاتحاد السوفياتي والحلفاء للوقوف بوجه النازية والفاشية ، وبهذا انتعشت الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي وصدرت لها مجلات وصحف ساعدت على نشر هذا الادب ، كالطريق ، والثقافة الجديدة . وساعد تأسيس رابطة الكتاب العرب على تدعيمه إضافة الى ان العهد العثماني كان عهدا مريبا وفسادا خلف مشاكل اقتصادية وسياسية واجتماعية ينوء بها العراق . وزاد هذا السوء سوء سيطرة الإنكليز عليه ، كما ان توسع الصناعة بشكسل مزدوج « توسع بطيء واحتكار » ونمو الطبقة الكادحة ثم نقد الصحافة للوضع في الداخل والخارج اثر في تدعيم وترسيخ هذا الادب الذي هو بطبيعته ادب ملتزم ينحاز الى جانب الطبقة الكادحة يدافعون به عن حقوقهم ويؤكدون بواسطته انسانيتهم .

الواقعية الاشتراكية - عند المؤلف - تجسيد للصراع القائم بين المتناقضات وحلها قسرا ومن ثم الكشف عن جوهر العلاقات المتشابكة بين الناس والمجتمع عن طريق دراسة هذه المتناقضات . وهي نظرية موضوعية علمية لا تعتمد على الفيب ولكن على المنطق السليم . والانسان عندها كائن شريف خير يهدف الى الخير دائما ، ولذلك تؤمن به كايماها بقدرته على صنع قدره وبان لا قوة في العالم ولا قانون يحول دون تحقيق ارادته .

والاديب الواقعي الاشتراكي يهضم تجارب الحياة وينظر اليها بموضوعية ، كما انه يدرك الحقائق بعيدا عن التكلف والافتعال ، ويتناول الحياة بألوانها المختلفة من حب ، كره ، قبح ، جمال ، خير ، شر ، ضعف ، قوة ، ناظرا من خلال ذلك الى المستقبل متفانالا بالانسان وبتطوره نحو الاحسن .

والواقعية الاشتراكية لا تدرس الوجه الجامد للحياة وإنما تهدف الى تصوير القطاع المتطور الدائم فيها والمتجدد أبدا ، فلا تصور كل ما هو واقع في الحياة . وهي تنفذ الى جوهر الحياة ولا تكفي بالسطح فقط كونها واقعية تنقد الحياة وتعكسها ، ليس هذا فقط وإنما تشكلها وتعيد بناءها وتجعلها ذات أهمية بنقد الحاضر وفهمه في سبيل الوصول الى مستقبل أكثر اشراقا ... والمؤلف يجد في روايات هذا الاتجاه عنصرين مهمين :

في فترة غياب النقد الجاد والاكتفاء بمجرد الانطباعات السريعة والآراء الخاطفة عن العمل الأدبي والنظر اليه من زاوية معينة أو موقف ذاتي يحث ، يجيء كتاب الدكتور عمر الطالب - الاتجاه الواقعي في الرواية العراقية - ليحتل مكانة بارزة وليرد على تخبطات أدعياء النقد ويصبح بمثابة الوثيقة التاريخية والرجع الذي يعتمد عليه عند الحديث عن الرواية في العراق . ولعل مرد أهميته يعود الى الحس النقدي المتوجع والثقافة الفزيرة التي تعين المؤلف على الاستيعاب والتحليل ضمن فهم سليم لطبيعة النص الأدبي مع مراعاة الناحية الموضوعية والابتعاد عن المواقف الذاتية البحتة .

منذ البداية يؤكد المؤلف ان الاتجاه القصصي البارز في العراق هو الواقعية ، هذه الواقعية المشوبة بمسحة رومانسية عند البعض والمتأثرة بالاتجاهات الغربية الواقعية ، وافتصر هذا التأثير على الشكل دون المضمون الذي توجهوا به نحو غايات اجتماعية وتوجيهية عبر العديد من القصص التي لم تكن متقدمة فنيا في الفترة التي سبقت الحرب التي كانت فيما بعد الحافز الكبير على انبثاق رواية فنية لما أحدثته من تغييرات عديدة في مختلف المجالات ، إضافة الى وصول روايات عربية وأجنبية أحدثت تبادلا في الافكار والآراء ، وبذلك أصبحت الرواية العراقية تأخذ من الواقع وتسمى لخلق اثر فني يماثل هذا الواقع ، ولكنه في الحقيقة ينفصل عنه باستنادها على التنوع وابتكار عالم مرئي متداخل الألوان والاشكال . وقد اقتربت من رسم الشخصية ونقدت بسخرية ومرارة ظلم الطبقة الحاكمة ونددت بالاستغلال ، فكان جوهرها ليس ما يحدث بالفعل ولكن الكشف عن دلالة ما يحدث ، وليس تصويرا فوتوغرافيا بعيدا عن الصدق الفني ، اذ كشفت وبلا مواربة ومخاللة زيف وانحلال الطبقات الفنية وبشرت بنهايتها كما في رواية « أفول وشروق » لخالد اللرة ، وبذلك أكدت قيمة الانسان ونظرت اليه ككائن حي متطور وليس لعبة للتسلية ، وهي بتصويرها لهذا الواقع المضطرب تهدف الى تطويره وتغييره .

بعد ذلك يؤكد المؤلف حساسية اللغة بالنسبة للكتاب ويدين جهل بعض كتابنا بها ، وينتقل الى الحوار فيتناوله ويبرز أهميته في رسم نفسية كل بطل على انفراد واعطاء الشخصيات أبعادها ، وعند الحديث عن الشخصية القصصية يرصد أبعادها ويوضحها من خلال تليط الضوء على تطوراتها . ثم يناقش بموضوعية بعض كتاب الرواية العراقية أمثال شاعر جابر ، ادمون صبري ، وحازم مراد ، موضعا مدى نجاح كل منهم فيما طرحه والاساس الذي يعتمد عليه في بنائه الروائي .

ويشير الدكتور عمر الطالب الى ان الموضوع الاساسي للرواية العراقية هو المدينة التي يضيع فيها الانسان ويتوزع وتكون بالنسبة له كقول رهيبي يسحق انسانيته . وبشيت ان عدم الاقتصاد في الكتابة يشكل عيبا في بعض الروايات العراقية . كما ان عدم التفريق بين التفاصيل الثانوية التي تشل حركة الرواية وبين التفاصيل المهمة التي تكسبها زخما ونبضا يمثل عيبا آخر يبرزه أكثر الاسلوب الصحفي والدعائي ومن ثم الاستطراد الذي يسبب الازباك في العمل الفني .

وأخيرا يشرح التلاحم بين الشخصيات والحبكة وتبادل التأثيرات فيما بينها ، ويقرر ان الشخصية عندهم فعالة ومؤثرة في الاحداث

الأول هو ان لكل حادث او موقف دلالة اجتماعية او دلالة ذهنية كالصراع الطبقي والوقوف بوجه الاسياد وضد الاقطاع .

أما الثاني فابراز جانب الفروسية والشجاعة والنبل في الإنسان العادي لتجعله بطلا رائعا وتحوله من شيء عادي الى شيء ذي أهمية .

ومن عيوب كتاب هذا الاتجاه أنهم كانوا من طبقة البرجوازية الصغيرة ويكتبون من خارج طبقتهم ومن مواقع غير مواقعهم الاصلية مما أدى بهم الى الاقتراب من الافتعال والابتعاد عن دفة الواقع لجهل الناص بطروف ونفسيات أبطاله السذيين لم يمايشهم . وفي رأيي ان الادب الناصح هو الذي يستطيع ان يكتب من خارج طبقته لان الفنان الواعي بإمكانه ان يعيش تجارب الآخرين بصديق وان يحل في نفوس الشخص وبتقمص أدوارها . وكتاب هذا الاتجاه يؤمنون بالعلاقة الجدلية بين الشكل والمضمون دون تفرغ المضمون ضمن تناسب تام و يرفضون الشكلية ، بينما نجد عند كتابنا في العراق الانضمام يبين الشكل والمضمون والتضحية بالشكل من أجل توصيل الفكرة .

وهم يهاجمون الشرور الاجتماعية ويؤكدون على الواقع المحلي مبرزين خصائصه وسماته ، والحوار عندهم من الوسائل المهمة في قوة القصة ، ومن علامات قوة القصة تنمية النفسية ورصد أبعادها .

يقرّ كتاب هذا الاتجاه بقولة « رومان رولان » - ان الفن يجب ان يتدخل بشكل حتمي وبعزم ضد النفاق والظلم والاستبداد الهائل المربع في عالمه ، وضد الاوهام والخرافات الاجتماعية - .

والادب الكبير في رأيهم هو الذي يصلح لكل مكان وزمان ولا يتكفي بالتعبير عن عصره فقط وانما يحل قوة وسحرا خفيا يمنعه من الهروب امام الزمن . والرواية عندهم تكشف المستقبل ولا ترضى بالواقع فقط وانما بحركته ونموه وتطوره . وكتاب هذا الاتجاه يؤمنون برأي ( انجلز ) بأن الادب العظيم هو الذي يعبر عن رأي في الوجود ويترجم عن موقف معين حيال النظام الاجتماعي القائم وعن نقد وأمل واتجاه .

\*\*\*

عند الحديث عن - الرواية عند الاكراد - يتحدث المؤلف عن محلية الادب الكردي ومشاركته آداب العالم وحدة المشاعر الانسانية وتصوير خلجات الانسان بدقة فيه ، ومن ثم مفارقتها عن آداب العالم في معالجة المشاكل والمساهمة في فتح طرق جديدة ووضع الحلول المناسبة لتلك المشاكل او مهاجمة التقاليد التي لا تتألف وروح العصر .

ومن أسباب صمت الادب الكردي عند تناول الامور الاجتماعية والمسائل العامة بالنقد والتحليل الامية المنتشرة بين ابناء الشعب الكردي بشكل معزول ، وكذلك الحياة البدائية التي يحياها هذا الشعب منعزلا عن الاتصال الحضاري ، وأخيرا عدم وجود الصحافة والطباعة ودور النشر ، ولذا فان الادباء الاكراد يركزون على الشعر الذي يتناول الجوانب الروحية والذاتية ويعبر عن بعض الطموحات والامال . وقد تأثر أدبهم بالادب الغربي والادب الاوروبي المترجم وخاصة في الشكل ، فأودعوا مأساة مجتمعتهم الى الرومانسية في قوالب اوروبية مستحدثة وحدث الخلط بين البناء الاوروبي والمضمون الكردي ، ولم تكن التجربة وطبيعة الموضوع هما اللتان تحددان الشكل لديهم بتناسب .

ويؤكد المؤلف ان المسرحية والقصة عندهم محدودتان جدا وذلك لعدم الاتصال الثقافي وعدم وجود فترة انتقال ثقافي واسعة بالإضافة الى عدم تيسر ظروف الطباعة والنشر .

والادب الكردي - في رأي المؤلف - لم يقدم الجديد في الوقت الحاضر ولكنه قد يقدمه في المستقبل وذلك لوجود تراث كبير من الاساطير والحكايات عندهم . بعد هذا يتحدث عن سمات القصة

الكردية التي تتميز بالافتعال والتقريبية بين القالب والمحتوى وضياح الوحدة الدرامية فيها . او هي واقعية فوتوغرافية تعتمد التسجيل ، ونحن نفر لها هذا لعدم خوض تجارب سابقة في هذا الحقل . والادباء الاكراد يستمدون موضوعاتهم من واقع الشعب الكادح والطبقات الفقيرة ، وفي كتاباتهم تتضح الهموم المينافيزيقية وقضية الحرية ، ولا يخفون خلجات نفوسهم لوجود الكثير من القيود الفكرية وقيود المجتمع والتقاليد والسياسة ، والانغمار في السياسة قد يحدث انفصاما بين الشكل والمضمون عندهم . ومن الادباء الاكراد من اعتمد التسجيل فقط وبهذا تضحى روايته علمية ينقصها الابداع والخلق الفني ، كما ان التحليل النفسي محدود عندهم مع ان اغلب أبطالهم يعانون مختلف الازمات ، واستفادة الرواية من المفاهيم الشعبية ترفعها وتكسبها قوة وحيوية ، الا ان هذه القوة قد تخفت احيانا اذ تشوبها رومانسية ساذجة .

ومن كتابهم ( فلك الدين الكاكائي وعبد المجيد لطفي ) اللذان نجحا في بناء رواية محكمة واقامة وحدة بين النسيج والبناء ضمن فهم جيد للرواية وضمن الاختيار والانتقاء من الواقع واحداث الحياة ، كما انهما لم يرسموا الحياة ولم يكرراها ولكنهما عمدا الى تركيبها وترتيبها بشكل أفضل . وهما يختلفان في عرض الرواية . فالكاكائي يبدأ روايته بعنف وقوة يعكس لطفي الذي تناسب روايته هادئة . وقد تكون على شكل مذكرات كما هي الحال عند البعض ...

والروايات الكردية تزخر بالصراع ، وهو صراع متكامل لجوانب الحياة . ولاحداثها الاثر الكبير في انمائه وتفديته . وهو صراع ليس بين افكار ذهنية مجردة وانما بين شخص وواقفهم . وتصور في هذا الصراع البيئة الكردية وانعكاس الطبيعة على سلوك الابطال ، وقد يعتمد الخوارق او اللجوء الى الخرافات او اللامعقول اضافة الى ان التحليل عندهم ينحو نحو التركيز والتكثيف والبساطة والعفوية دون الافتعال .

والرواية عند الكاكائي ولطفي تقوم على تحقيق الوحدة العضوية بتأثير الاخبار الجزئية التي تنسجم مع الحدث الرئيسي . وتجارب كتاب الرواية امينة وصادقة ، وهم يكتبون من مواقعهم ، مع حسنة الشخص دون فائدة احيانا . وشخصيات هؤلاء الكتاب تقرب من الفردية الرامزة والفردية الانسانية المتميزة . وهم يرسمون بعناية الملامح الخارجية للشخصيات .

وعندما يتحدث المؤلف عن الشخصيات في هذه الروايات يقسمها الى قسمين : فهي اما شخصيات جاهزة وثانوية تظل على الهامش ولا تؤثر في الاحداث وتظل على طول الخط محتفظة بسلوك معين ، او شخصيات نامية تؤثر وتتأثر بالاحداث . وهم احيانا يستخدمون الالفاظ العامية ويشيرون الى التقاليد والعادات المتبعة عندهم . والحوار عندهم متماسك يتناسب مع نفسيات الابطال وافكارهم ، ويتناقضات وبساطة ، ويدخل في صلب الرواية مسهما في تطويرها واغنسانها ، وهم يستعملون اللغة العامية الموضحة او اللغة الفصحى دون العامية .

وينتقل المؤلف الى عبد المجيد لطفي فيتحدث عن بداياته القصصية ويحلل اعماله وفق منهج يعتمد الموضوعية والذكاء في التحليل والتفسير ومن ثم الحكم ، ويصل الى مرحلته الاخيرة فيوضح سماتها وما حصل من تطورات شارحا اسلوب وطريقة واخيرا فكر لطفي من خلال اعماله .

\*\*\*

يرى الدكتور عمر الطالب في فصل - الرواية العراقية النفسية - ان تمزقات الجيل الجديد كانت نتيجة الالتقاء الحضاري بين الشرق والغرب . فقد احدث ذلك انفصاما شديدا متعارضا ما بين العقلية الوافدة من الخارج وبين المجتمع المتخلف ، كما ان تفاقم الازمات الاقتصادية والسياسية العنيفة اثرت على العراق ونكبت الالاف من

صدر حديثاً :

من وحي  
جبران خليل جبران

# رسائل حب

اختارها وترجمها بصرف

إميل خليل بييس

في الثاني عشر من نيسان (ابريل) ١٩٣١ ، قضى جبران نحيبه . وفي وصيته ، كتب جبران : « كل شيء في مرسمي ، من رسوم وكتب وقطع فنية ، أخص به ماري هاسكل » .

\*\*\*

أمضت ماري الحزينة نهار العشرين من أيار ١٩٣١ ، في المرسم تتفقد وتراجع .. كانت وحدها مع فكرها ومع ذكرياتها .. اتصلت « بنعيمه » فجاء مسرعاً ، وقضى وقتاً معها يعينها في مهمتها ..

عثرت ماري على كتبها الى جبران .. الرسائل التي بعثت بها اليه .. جميعها .. التي كتبتها في عشرين عاماً .. مئات من الرسائل ، جمعتها بحماسة وأشفقت على نفسها وعلى الذكرى وعلى التاريخ فلم تحرقها ، وضمت رسائلها الى رسائلها ..

\*\*\*

من هذه الرسائل ، انتقى الاديب اميل خليل بيدس ما يكشف عن جوانب هامة من حياة جبران وشخصيته وعلاقاته بالناس والمجتمع والحياة ، وما فيها من آلام وبشائر فرح ، فنقلها الى العربية بأسلوب أدبي رائع ، لتكون قريبة وسهلة التناول لقراء العربية ..

\*\*\*

مجموعة في ٤ أجزاء بأخراج رائع وحلة أنيقة صدرت عن :

منشورات زهير بعلبيك  
بيروت

توزيع دار الآفاق الجديدة

ص.ب ٧٣٠٢ بيروت - لبنان

المسوقين . وجاءت الحرب العالمية الثانية بكل ما خلفته من عقد ومشاكل ، اضافة الى مأساة فلسطين التي هزت الضمير العربي ، فنتج عن هذه الظروف الرواية النفسية التي تتناول قضية الحرية ، وتكون شخصيات هذه الحريات قلقة تبحث بلا تعب عن مصيرها وهي مهددة ومحاصرة وحريتها مهدورة . وجر هذا الامر الى التركيز على الذات والانكفاء على العالم الداخلي لهم فادى ذلك الى التهزق .

وانطلق كتاب هذا الاتجاه من ( الرغبة في بلورة حالة الحصار والفقر التي يعيشها عدد هائل من المراقبين ) . وما ازدهار العلوم الرياضية والنفسية وظهور النسبية في القيم والاشياء والعلاقات والنظرة الجديدة الى الزمان والمكان الا من العوامل المساعدة على نمو هذا الادب .

ولقد كان احساس هؤلاء الكتاب بالذات كبيراً ، وكانت الحياة عندهم كآبة وضجر . وهذه النظرة تجعلهم يمجزون عن الانتماء الى الواقع . ولم يقتصر الامر على ذلك وانما رفضهم القاطع للواقع ومخالفاته دون ان يحاولوا تفسير هذا الواقع .

ويوضح المؤلف اثر نظريات فرويد ويونغ عن الجنس في روضة كتاب هذا الاتجاه . والحياة في كتاباتهم في حركة وغبغوبة . والمؤلف يناقش بعمق وذكاء كتاب هذا الاتجاه ومواقفهم من العلم من خلال ذاتهم المحدودة التي يمكن ان تتحول الى قوة مدمرة اذا لم تشذب وتنظم ، علماً بان الذات الانسانية تتكون وتستمد سماتها من العالم الخارجي ، وتجاوز الانسان المدرك لذاته يتم من خلال ايدولوجية انقلابية على الذات وجعلها تسير في خط يتوازي مع المجتمع .

ويلاحظ ان كتاب هذا الاتجاه ينغمسون في الجنس ناشدين من خلاله نيسان هومومهم ومشاكلهم . كما انهم يعبرون عن نماذج البرجوازية الصغيرة واحزانها وتعقداتها وما تعانيه من آلام محاولين تبرير مواقفها الانهزامية المتخاذلة . ولكنهم في قرارة نفوسهم كانوا يؤمنون بمواقفها السلبية ناسين ان الشر ليس مشكلة فردية بقدر ما هو مشكلة انسانية كبرى .

ويبين الدكتور الطالب ان روايات هذا الاتجاه تفتقر احياناً الى الصدق الفني ، ومن عيوبها التعريض بالشخصيات السياسية . يضاف الى ذلك الدعائية والنظرة الى من يخالفهم الرأي نفس النظرة العاقدة التي تنظرها الاحزاب لاعدائها . ورواياتها تستند الى السرد والمولوج والانتقال من الماضي الى الحاضر ، وصهر الزمن في بودقة واحدة .. لان الزمن مثل كائن مرعب تنظم امنياتنا على صخرته ، وقد كان بروست وجويس ضد اضهاد الزمن ، فعمداً في كتاباتها الى حصه في لحظات قصيرة ، اي الكتابة الطويلة والاحداث ضمن فترة قصيرة في محاولة لقهر قوة الزمن ، وكرد فعل لحركته التي تسحق الانسان وتجعله يسبح في النهاية على الحياة تسرب من بين يديه كالرمل ..

وتستفيد هذه الروايات من اسلوب التقطيع السينمائي دنتمهيد، وتتهم بخلق الجو النفسي للبطل والاستفادة من المحاور الداخلية واستغلال تفاصيل الاحداث لمحاولة ابراز القلق ، وهم يهتمون برسم الملامح المادية الخارجية للشخصيات من حركة او اشارة او وضع معين . كما يهتمون بالتركيز على بطل اساسي بدلا من توزيع الرواية على عدة اشخاص ، كما ان اهتماماتهم بتيار اللاوعي ابعدهم عن الالتفات للحوار .

اخيراً يناقش المؤلف قضية الحرية من خلال رواية « السجنين » لانيس زكي حسن نقاشاً جاداً وموضوعياً تعززه ثقافة واسعة وانفتاح لفهم الاشياء المعارضة لرؤياه بلا ابتعاد عن الموضوعية .

ان هذا الكتاب من الكتب النقدية المهمة وسيظل مرجعاً كبيراً يبرر وجود نقد ناضج لا يدرس الاحداث بمعزل عن بعضها او وفق نظرة ضيقة ، بل ضمن نظرة ناقية شاملة وضمن منهج علمي سليم يقترن بطريقة المفكر الانكليزي ( كولن ولسن ) في كتابه « اللامنتهي » .

نجمان ياسين

الموصل